السحر وهل هو حقيقته أم خيال

الباحث/ محمود فتحي عبد المجيد

الملخص باللغة العربية:

من القضايا التي شهدت جدالا بين أهل السنة وغيرهم من المتكلمين، قضية حقيقة السحر، والسحر حيل صناعية يتوصل إليها بالتعلم والاكتساب غير أنها لخفائها ودقتها لا يتوصل إليها إلَّا آحاد الناس، فيندر وقوعها وتستغرب آثارها لندورها، ومادته الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأزمان ذلك".

والذي عليه جمهور العلماء أنَّ للسحر تأثيرًا في بدن المسحور حقيقةً كما حصل ذلك للنبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، وأثر فيه السحر حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيءَ ولا يفعله.

وذهب قوما من المعتزلة زعموا أن السحر تخييل لا حقيقة له، محتجين على ذلك بما أحدثه سحرة فرعون من خيالات خُيلت للناس بأفعالهم السحرية. وقد رد أهل العلم على ذلك، وساقوا العديد من الأدلة في هذه المسألة.

الملخص باللغة الانجليزية:

One of the issues that witnessed debate between Sunnis and other theologians is the issue of the reality of magic, and magic is artificial tricks that are achieved through learning and acquisition. However, due to its concealment and accuracy, it is only attained by individual people, so it rarely occurs and its effects are surprising due to its frequency. Its purpose is to discover the properties of things, and to know the aspects of their composition and times. that."

What the majority of scholars agree is that magic actually has an effect on the body of the enchanted person, as this happened to the Prophet - may God's prayers and peace be upon him and his family - and the magic affected him to the point that it seemed to him that he was doing something and not doing it.

Some of the Mu'tazilites claimed that magic was an illusion and had no reality, as proof of that because of the fantasies created by Pharaoh's magicians that people imagined with their magical actions. Scholars have responded to this and provided many pieces of evidence on this issue.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. وبعد:

فإن من القضايا التي شهدت جدالا بين أهل السنة وغيرهم من المتكلمين، قضية حقيقة السحر، والسحر حيل صناعية يتوصل إليها بالتعلم والاكتساب غير أنها لخفائها ودقتها لا يتوصل إليها إلَّا آحاد الناس، فيندر وقوعها وتستغرب آثارها لندورها، ومادته الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأزمان ذلك".

والذي عليه جمهور العلماء أنَّ للسحر تأثيرًا في بدن المسحور حقيقةً كما حصل ذلك للنبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، وأثر فيه السحر حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيءَ ولا يفعله.

وذهب قوما من المعتزلة زعموا أن السحر تخييل لا حقيقة له، محتجين على ذلك بما أحدثه سحرة فرعون من خيالات خُيلت للناس بأفعالهم السحرية. وقد رد أهل العلم على ذلك، وساقوا العديد من الأدلة في هذه المسألة.

وهذا ما نتناوله بالتفصيل في هذا البحث.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

دفع إلى اختيار هذا الموضوع، ما يلي:

١- أن قضية السحر من أخطر القضايا العقدية والمجتمعية التي أصبحت تشغل بال الكثيرين، وأصبح مما يؤكل به أموال الناس بالباطل.

٢- وجود السحر في حياة الناس وواقعهم، وانتشاره بينهم.

٣- جهل كثير من المسلمين بخطورته، وما يترتب على فعله، بل يظن كثير منهم أن التحريم خاص بالساحر فقط.

٤- ضرورة التحذير من السحر ومن السحرة ومن الإتيان إليهم أو تصديقهم.

خطة البحث:

يشتمل على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة، وتشمل مقدمة عامة، وأهمية الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول: معنى السحر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: هل السحر حقيقة أم خيال.

الخاتمة.

المراجع والمصادر.

المبحث الأول: معنى السحر في اللغة والاصطلاح

التعريف اللغوي للسحر:

جاء لفظ السحر ومشتقاته في القرآن الكريم في مواضع متعددة منه، فلقد ورد لفظ السحر والساحر والسحرة ومشتقاتها ستون مرة[١].

ذكر أكثرها في قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون، كما ذكر في سورة البقرة في معرض الكلام على نعت اليهود وبيان ضلالهم وكشف أسرارهم، وفضح حقيقة علمهم[٢].

ونحن إذا أردنا الوقوف على حقيقة السحر، نجد أنه قد ورد في لغة العرب بمعنى كل ما لطف مأخذه ودق سببه وخفي، قالوا: سحره: أي خدعه وعلله، وقالوا: عين ساحرة، وعيون سواحر، وفي الحديث: (إن من البيان لسحرا) [٣].

والسحر بالفتح والتحريك (الرئة)، وهي أصل هذه المادة، و(الرئة) في الباطن، مما لطف مأخذه، فهو باطن خفي.

وتأثير العيون في عشاق الحسان، والكلام البليغ في عشاق البيان، مما يخفى مسلكه ويدق سببه، حتى يعسر على أكثر الناس الوقوف على العلة في تأثيره[٤].

وقال ابن منظور: "قال الأزهري: السِّحْرُ عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إِلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأَمر كينونة للسحر ومن السحر الأُخْذَةُ التي تأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أَن الأَمْرَ كما يُرَى وليس الأَصل على ما يُرى والسِّحْرُ الأُخْذَةُ وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه ودَقَّ فهو سِحْرٌ والجمع أَسحارٌ وسُحُورٌ وسَحَرَه يَسْحَرُه سَحْراً وسِحْراً (بالفتح والكسر)، وسَحَّرَه (بالتضعيف) ورجلٌ ساحِرٌ من قوم سَحَرَةٍ وسُحَّارٍ (بضم السين والتضعيف) وسَحَّارٌ من قوم سَحَّارِينَ.

وقد يطلق ويراد به البيانُ في فِطْنَة كما جاء في الحديث إِن قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ والزِّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ وعَمْرَو بنَ الأَهْتَمِ قدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم – فسأَل النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – عَمْراً عن الزِّبْرِقانِ فأَثنى عليه خيراً فلم يرض الزبرقانُ بذلك وقال والله يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إِنه ليعلم أَنني أَفضل مما قال ولكنه حَسَدَ مكاني منك فَأَثْنَى عليه عَمْرٌو شرّاً ثم قال والله ما كذبت عليه في الأُولى ولا في الآخرة ولكنه أَرضاني فقلتُ بالرِّضا ثم أَسْخَطَنِي فقلتُ بالسَّخْطِ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إِن من البيان لَسِحْراً)" [٥].

---

[١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٣٤٦.

[٢] انظر: التاروت وسحر هاروت وماروت/عبد الرازق نوفل ص٢٩، طبعة كتاب اليوم ١٩٨٥م.

[٣] رواه البخاري (٥٧٦٧)، كتاب الطب، باب أن من البيان سحرًا.

[٤] تفسير المنار للشيخ محمد عبده ١/٣٣٠.

[٥] لسان العرب لابن منظور ٦/١١.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "وكأن المعنى والله أعلم: أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه فيصدق فيه، حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر، فكأنه سحر السامعين بقوله"[1].

وقال ابن الأثير: "يعني إِن من البيان لسحراً أَي منه ما يصرف قلوب السامعين وإِن كان غير حق وقيل معناه إِن من البيان ما يَكْسِبُ من الإِثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذمّ ويجوز أَن يكون في معرض المدح لأَنه تُسْتَمالُ به القلوبُ ويَرْضَى به الساخطُ ويُسْتَنْزَلُ به الصَّعْبُ"[2].

وينقل الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح تفصيل طيب لمعنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن من البيان لسحرا)، حيث قال: "قال الخطابي البيان اثنان أحدهما ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان والآخر ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب وغلب على النفس حتى يحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن جهته فيلوح للناظر في معرض غيره وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح وإذا صرف إلى الباطل يذم قال فعلى هذا فالذي يشبه بالسحر منه هو المذموم وتعقب بأنه لا مانع من تسمية الآخر سحرا لأن السحر يطلق على الاستمالة.

وقد حمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ وهذا واضح إن صح أن الحديث ورد في قصة عمرو بن الأهتم وحمله بعضهم على الذم لمن تصنع في الكلام وتكلف لتحسينه وصرف الشيء عن ظاهره فشبه بالسحر الذي هو تخييل لغير حقيقة، إن المراد به الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر الناس ببيانه فيذهب بالحق وحمل الحديث على هذا صحيح لكن لا يمنع حمله على المعنى الآخر إذا كان في تزيين الحق وبهذا جزم بن العربي وغيره من فضلاء المالكية وقال بن بطال أحسن ما يقال في هذا أن هذا الحديث ليس ذما للبيان كله ولا مدحا لقوله من البيان فأتى بلفظة من التي للتبعيض قال وكيف يذم البيان وقد أمتن الله به على عباده حيث قال: {خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)} [3] انتهى.

والذي يظهر أن المراد بالبيان في الآية المعنى الأول الذي نبه عليه الخطابي لا خصوص ما نحن فيه وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة

[1]) السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، أ/تاج الدين نوفل ص١٥، مكتبة التراث الإسلامية بالقاهرة، سنة ١٩٨٦م.

[2]) لسان العرب ١٢/٦.

[3]) سورة الرحمن، آية: ٣ – ٤.

وعلى مدح الإطناب في مقام الخطابة بحسب المقام وهذا كله من البيان بالمعنى الثاني نعم الإفراط في كل شيء مذموم وخير الأمور أوسطها والله أعلم[1].

وفي الحقيقة لقد عرض الإمام ابن حجر – رحمه الله – ما جاء في معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إن من البيان لسحرا)، عرضًا رائعًا ما يشفي ويكفي في الإلمام بالمعنى والله أعلم.

وينقل الإمام ابن الأثير كلام الأزهري في تعريف السحر حيث يقول:

"وأَصل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقيقته إِلى غيره فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه وقال الفراء في قوله تعالى فَأَنَّى تُسْحَرُون معناه فَأَنَّى تُصْرَفون.

وروى شمر عن ابن عائشة قال إِنما سمت السِّحْرَ سِحْراً لأَنه يزيل الصحة إِلى المرض وإِنما يقال سَحَرَه أَي أَزاله عن البغض إِلى الحب.

قال شمر وأَقرأَني ابن الأَعرابي للنابغة:

فَقالَتْ يَمِينُ اللهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي * رأَيتُك مَسْحُوراً يَمِينُك.**

قال مسحوراً ذاهِبَ العقل مُفْسَداً لا يمين لك ولا قسم يصح منك[2].

فالسحر: كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع وكل ما لطف مأخذه ودق. جمعه: أسحار وسحور"[3].

وقد يطلق بعض العلماء على السحر اسم "مخرقة"، كما سماه الشيخ مجد الدين ابن يعقوب الفيروز آبادي، قال: المخرقة: "العمل الغريب المبني على التمويه والخداع، فلا حقيقة له، وهي إظهار الخارق توصيلًا إلى حيلة، فهو مشتق استعارة من مخاريق الصبيان، وهو منديل يلف فيصرف به ويفزع"[4].

وتعريف الإمام الفيروز آبادي جاء موافقًا لما في القرآن حيث يقول تعالى: {.. يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}[5].

وهي لم تتعد كونها حبالًا وعصيًا بها {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}[6].

---

[1]) فتح الباري لابن حجر ٢٦٨/١٠، بتصرف يسير.

[2]) لسان العرب لابن منظور ١٢/٦.

[3]) المعجم الوسيط: ٤١٩/١.

[4]) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٦٥/١، وانظر: المعجم الوسيط: ٢٣٠/١.

[5]) سورة الأعراف آية: ١١٦.

[6]) سورة الأعراف آية: ١١٦.

- التعريف الاشتقاقي للسحر:

عرفنا مما سبق أن السحر يعني: التمويه والخداع بالحيل والتحايل، وهو كل ما فيه خفاء.

يقول الإمام الشعراني – رحمه الله –:

"أصل السحر مشتق من السَحر بالفتح، الذي هو الزمان، وهو اختلاط الضوء والظلمة، فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح، وما هو بنهار لما خالطه من ظلمة الليل، وعدم طلوع الشمس بعد.

وكذلك السحر: إنما سمي سحرًا للاختلاط الحادث به، فما هو باطل محقق ظاهر البطلان فيكون عدمًا، لأن العين أدركت أمرًا، لا تشك في رؤيتها له.

وما هو بحق محض، فيكون له وجود في عينه، فإنه ليس هو في نفس الأمر لما تشهده العين ويظنه الرائي"(١).

التعريف الاصطلاحي للسحر:

وللسحر في عرف العلماء تعريفات عدة، نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

عرفه الإمام النيسابوري – رحمه الله –، فقال: "والسحر في عرف الشرع هو: كل أمر يخفى سببه ويتخيل من غير حقيقة، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله"(٢).

ويذكر الإمام الشيخ محمد عبده للسحر تعريفًا مقتبسًا من آيات القرآن الكريم فيقول:

"إن السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية، يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون، فيسمون العمل بها سحرًا لخفاء سببه ولطف مأخذه، ويمكن أن يعد منه تأثير النفس الإنسانية القوية، في نفس أخرى ضعيفة على طريق التخيل والوهم لمثل هذه العلة"(٣).

وقال المؤرخون إن سحرة فرعون استعانوا بالزئبق على إظهار الحبال والعصى في صورة الثعابين وتخييل أنها تسعى.

وقد اختلف العلماء في السحر معناه ومداه:

فقال المعتزلة وغيرهم من أهل الإسلام: السحر هو التمويه والاحتيال وليس يجوز أن يبلغ الساحر بسحره أن يقلب الأعيان ولا أن يحدث شيئاً لا يقدر غيره على إحداثه.

(١) انظر: اليواقيت والجواهر للشيخ عبد الوهاب الشعراني ١/١٦٠.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ١/٣٩٢.

(٣) المنار للشيخ محمد عبده ١/٣٣٠.

وقال غيرهم: السحر ليس على قلب الأعيان ولكنه أخذ بالعيون كنحو ما يفعله الإنسان مما يتوهمه المتوهم على خلاف حقيقته[١].

وهذا الرأي هو الذي سارت عليه المعتزلة قديمًا، وقال به الإمام ابن حزم الأندلسي، حيث قالوا: إن السحر ليس إلا خيالات وتمويه وخداع ولا يصل الساحر البتة إلى قلب حقيقة أو عين من الأعيان قال ابن حزم: وتبديل الأعيان لا يقع على يد ساحر[٢].

وعليه أيضًا سارت المدرسة الحديثة العقلية في تفسير القرآن الكريم، حيث يميل الأستاذ محمد عبده إلى تكذيب السحر، وأنه شيء متنحل يستخدمه أصحابه ليفتنوا به العامة، ويضلوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة، ومناهجها المشروعة، وهؤلاء الدجالون مازالوا يتلون أقسامًا وعزائم ويخطون خطوطًا وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان، وعهود سليمان ويزعمون أنها تحفظ حاملها من أي اعتداء، ومن العفاريت....

وترى هذه المدرسة العقلية في تفسير القرآن الكريم، أن السحر أعمال غريبة من التلبس والحيل، وتخفي حقيقتها عن الجماهير لجهلهم بأسبابها، فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه[٣].

وقال المقدسي – رحمه الله – في تعريف السحر في كتابه الكافي: "السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه، قال تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ}"[٤].

وقال الإمام السنوسي – رحمه الله – عن تعريف السحر: "هو ما عرفه به الشيخ ابن عرفة، بقوله: "أمر خارق للعادة يطرد الارتباط بسبب خاص به، وهو تعريف خاطئ لا يميل إليه عاقل، ويرد ما قاله الشيخ العراقي: أنه غير خارق للعادة، وغرابته إنما هو بجهل أسبابه لأكثر الناس كصنعة الكيمياء[٥].

فالسحر إذًا له سبب عادي مرتبط به كالعزائم والتمائم، وكتابة الأسماء السريانية في الأوقات المعينة.

وقد عرفه صاحب الحواشي على الكبرى للإمام السنوسي بقوله: "السحر علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس على ظهور التأثير في عالم العناصر بلا معين وقاعدته

---

١)) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ١٢٩/٢.

٢)) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهري ٩/٥.

٣)) السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، تاج الدين نوفل ٥٥ – ٥٦.

٤)) السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، نقلا عن الكافي للمقدسي ص٨.

٥)) السنوسية الكبرى ص٦٦٤، والآية رقم: ١٠٢.

التغيير من حال إلى حال، ومنه الشعوذة ومرجعها لسرعة اليد مع إخفاء السبب في نحو إظهار القطع والقتل، بسبب خاص"[1].

وأكتفي بهذا القدر من ذكر التعريفان؛ لأن جميعها يؤدي إلى معنى واحد وإن كانت الألفاظ تختلف، والحاصل منها:

أن السحر خارق مصاحب لسبب خاص مرتبط به، فهو إن كان خارق إلا أنه مخالف للخوارق التي لا تستند إلى أسباب خاصة بها، بل لها قدرة الفاعل المختار كخوارق الأنبياء والأولياء، والله أعلم.

المبحث الثاني: هل السحر حقيقة أم خيالًا؟

ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – أن السحر يطلق على معان:

أحدها: ما لطف ودق ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته وكل من استمال شيئا فقد سحره ومنه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس ومنه قول الأطباء الطبيعة ساحرة ومنه قوله تعالى بل نحن قوم مسحورون أي مصروفون عن المعرفة ومنه حديث: (إن من البيان لسحرا) [2].

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه بخفة يده وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: { يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}[3]، وقوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ}[4]، ومن هناك سموا موسى ساحرا وقد يستعين في ذلك بما يكون فيه خاصية كالحجر الذي يجذب الحديد المسمى المغنطيس.

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}[5].

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانياتها بزعمهم، قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع إمساكه من لدغة العقرب وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة[6]، فإنها لا

---

[1] حواشي السنوسية الكبرى ص٤٤٤.

[2] صحيح البخاري ، كتاب الطب، باب السحر، رقم(٥٧٦٧).

[3] سورة طه، آية: ٦٦.

[4] سورة الأعراف، آية: ١١٦.

[5] سورة البقرة، آية: ١٠٢.

[6] هي المدينة البيضاء، تقع شرق الأندلس، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر آهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم من جبال قلعة أيوب ومن غير ذلك، فتجتمع هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة، اسمها مشتق من اسم قيصر وهو الذي بناها. انظر: الروض المعطار في خير الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت–، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ج١، ص٣١٧.

يدخلها ثعبان قط إلا إن كان بغير إرادته وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين كالاستعانة بالشياطين ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم قال أبو بكر الرازي في الأحكام له كان أهل بابل قوما صابئين يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها آلهة ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم وعملوا أوثانا على أسمائها ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور وهم الذين بعث إليهم إبراهيم – عليه السلام – وكانت علومهم أحكام النجوم ومع ذلك فكان السحرة منهم يستعملون سائر وجوه السحر وينسبونها إلى فعل الكواكب لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم انتهى.

ثم إن السحر يطلق ويراد به الآلة التي يسحر بها ويطلق ويراد به فعل الساحر والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرقي والنفث في العقد وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصورة على صورة المسحور وتارة بجمع الأمرين الحسي والمعنوي وهو أبلغ واختلف في السحر فقيل هو تخبيل فقط ولا حقيقة له وهذا اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وبن حزم الظاهري وطائفة، قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة انتهى"[(١)].

والملاحظ: أن الإمام ابن حجر العسقلاني – رحمه الله – لم يخالف تعريفه للسحر جملة التعاريف السابقة للعلماء بل إنه اشتملها جميعًا، وعرض لبعض آراء أهل العلم الذين اختلفوا في السحر هل هو حقيقة أو خيال؟ ورجح جمهور العلماء على أن السحر حقيقة دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

وسوف أذكر الأدلة التي تدل على أن السحر حقيقة:

قال تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}[(٢)].

وقال تعالى: على لسان موسى – عليه السلام –: {مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ}[(٣)].

وقال تعالى في شأن سحرة فرعون: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ}[(٤)].

---

(١)) فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٥٠ – ٢٥١.

(٢)) سورة البقرة آية: ١٠٢.

(٣)) سورة يونس آية: ٨١.

(٤)) سورة الأعراف آية: ١١٦.

وقال تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى}[١].

وقال تعالى: {أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}[٢].

وقال تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}[٣]. قال البخاري: النفاثات: السواحر[٤].

والأدلة من السنة كثيرة، وأذكر منها على سبيل المثال:

ما جاء في صحيح البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال: (يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال مطبوب قال من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم قال في أي شيء؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر. قال وأين هو؟ قال في بئر ذروان). فأتاها رسول الله صلى الله عليه و سلم في ناس من أصحابه فجاء فقال (يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين). قلت يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال (قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا). فأمر بها فدفنت[٥].

وذكر الإمام ابن حجر في معنى مطبوب: "أي مسحور يقال طب الرجل بالضم إذا سحر يقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما قالوا للديغ سليم"[٦].

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري أيضًا من حديث عبد الله بن عمر أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن من البيان لسحرا أو إن بعض البيان لسحر) [٧].

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري أيضًا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: (اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر) [٨].

فمن الأدلة السابقة نستنتج أن السحر حقيقة ثابتة بالكتاب والسنة، وهو الصواب الذي نعتقد وندين لله به، والله أعلم.

---

(١) سورة يونس آية: ٧٧.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٣.

(٣) سورة المسد آية : ٤.

(٤) صحيح البخاري (٤٧)، كتاب الطب، باب السحر.

(٥) صحيح البخاري (٥٧٦٣)، كتاب الطب، باب السحر.

(٦) الفتح لابن حجر ٢٥٨/١٠.

(٧) صحيح البخاري (٥٧٦٧)، كتاب الطب، باب السحر.

(٨) صحيح البخاري (٥٧٦٤)، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات.

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني – رحمه الله –: "وقال المازري جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: {يفرقون به بين المرء وزوجه}[(١)]، لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره قال المازري والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك قال والآية ليست نصا في منع الزيادة"[(٢)].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢٥١/١٠.

الخاتمة:

تناولت في هذا البحث بيان معنى السحر ومعانيه، وهل السحر حقيقة أم خيال، والأدلة التي ساقها العلماء حول هذه القضية.

وقد توصلت إلى عدة نتائج، وهي:

١- أن السحر محرم لا يجوز فعله، ولا تعلمه، ولا تعليمه، ولا الذهاب إلى أهله.

٢- كفر السحرة، وخطر تصديقهم، وبيان شدة الإثم في ذلك.

٣- أن السحر له تأثير حقيقي على الإنسان، وأما ما يفعله الساحر من الطيران في الهواء أو المشي فوق الماء، أو قلب الإنسان حيوانًا، أو غيرها من الأعمال فعند كثير من العلماء أن هذا من باب التخييل.

٤- أن الذي عليه اجماع جمهور أهل العلم أن السحر حقيقي وليس خيالا، وأنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

المراجع والمصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: أ/محمد علي النجار، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م.

٣- التاروت وسحر هاروت وماروت/عبد الرازق نوفل، طبعة كتاب اليوم ١٩٨٥م.

٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٥- الروض المعطار في خير الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت–، الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٦- السحر والسحرة والوقاية من الفجرة، أ/تاج الدين نوفل ، مكتبة التراث الإسلامية بالقاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، مكتبة دار السلام العالمية.

١٠- لسان العرب لابن منظور، بتصرف، طبعة دار المعارف، بدون تاريخ.

١١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وغيره.

١٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار النشر، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، بدون تاريخ.

١٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.